رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القطب عند الصوفية (١)[1]

مقدمة:

تسمع من الصوفية وضحاياهم من العوام قولهم: شيخنا فلان قطب، وكان السيد البدوي قطب الغوث في زمانه، وكان ابن عربي قطب الأقطاب.

ترىٰ ماذا يقصد الصوفية بهذه الكلمة الوثنية المعنىٰ؟ هل اتحدت عندهم مفاهيم هذه الكلمة في هذه الاستعمالات الثلاث؟ أعني: القطب، وقطب الغوث، وقطب الأقطاب؟ أو أن لكل كلمة مفهومًا خاصًا يزيد أو ينقص عن مفهوم الكلمة الأخرىٰ؟ هذه أسئلة نوجه بها هذا البحث إلىٰ الفكر الباحث في أعماق وثنيات الصوفية، وسنجيب عليها - بمشيئة الله - هنا بعد أن نوجه سؤالًا آخر هو: هل يقصد عوام الصوفية من دراويش ومجاذيب وبله عين ما يقصده خواصهم من آلهة وأرباب وطواغيت بهذه الكلمة؟ هل يفهم العوام من القطب عين ما يفهمه خواص الصوفية؟ وهل يضيفون إليه تلك القوىٰ القهارة الجبارة مثل ما يضيفه إليه زعماؤهم؟

نبادر إلىٰ الجواب عن هذا: بأن عوام الصوفية كخواصهم يفهمون في القطب فهمًا وثنيًا أسطوريًا يجعله في مصاف الآلهة، وفوق الآلهة غلابًا ومكرًا وقهرًا. والدليل علىٰ ذلك ما يأتي:

يؤمن العوام بأن من أوليائهم من لهم التصرف في أقضية الوجود وأقداره، فهذا له التصرف في عالم الملك، وذاك له التصرف في عالم الملكوت، وآخر له

---

[1] (١١/ ١٣٦٨هـ).

التصرف في عالم الجبروت: ألا تسمع هاتفهم المكروب يصرخ في كربته مستغيثًا بقوله: مدد يا أهل التصريف؟!

ألا تسمع منهم أسطورة المحكمة الباطنية، تلك التي يجتمع فيها أقطابهم وأولياؤهم من الأموات ليحكموا علىٰ الأحياء بما يريدون؟

ألا تسمع أن الدرويش فلانًا عصىٰ الله في مقام الشيخ فعطبه الشيخ؟

ألا تسمع الجميع ينادون آلهتهم أم هاشم(١) بقولهم: مدد يا رئيسة الديوان(٢)؟

---

(١) أما السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهي بريئة من هؤلاء براءة جدها العظيم ﷺ من عابديه وبراءة التوحيد من الشرك، والطهر من الخبث.

(٢) يعطينا الدباغ في كتابه الإبريز (صـ٢/ جـ٢) صورة عن ديوانهم هذا بقوله: (الديوان يكون بغار حراء فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرىٰ، وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية، وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه، ويسمىٰ: قاضي الديوان؛ والتصرف للأقطاب السبعة علىٰ أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، ويحضره بعض الكمل من الأموات؛ ويكونون في الصفوف الأولىٰ مع الأحياء) ثم يقول في (صـ ٩/ جـ٢): (وقد يحضر سيد الوجود في غيبة الغوث فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره ما يخرجهم عن حواسهم، حتىٰ إنه لو طال ذلك أيامًا كثيرة لانهدمت العوالم، ويحضر مع سيد الوجود أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين، وأمهما فاطمة الزهراء، وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار، وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن. ويتكلمون في قضاء الله تعالىٰ، ولهم التصرف في العوالم كلها).
=

وتسأل العوام عن القطب، فيجيبونك: عليه حفظ الكون، وقد يسكر القطب إذا تجلىٰ الله عليه فيميل الكون من سكره، ولا ينجو الكون من ميله إلا إذا تولىٰ أمره قطب آخر لا يسكر من خمرة الله!!

ويقول العوام أيضًا: إن القطب يتغير، ويتشكل، وتطوىٰ له الأرض، فهو هنا، وهو هناك، لا تحده المكانية، ولا الزمانية، ولا تقيده الجسمية عن هتك حجب المادية، فيستشرف ما جن وراءها من أسرار، وما استتر خلفها من غيوب، إنه مع البرق طيار، ومع الريح سيار، إنه قوة روحية منطلقة متجردة من كل علائق البشرية، فلا السماء بل ولا الحجب فوقها بل ولا العرش، بل ما كل ما في الوجود أسفله وأعلاه، إلا ويدين لقدرته، ويعنو لجبروته(١)، ومن يكابر فليذهب إلىٰ ما حول ما يسمونه المشهد الحسيني(٢) أو الزينبي.

هذه صورة من ديوان الصوفية لست محتاجًا ولا غيري إلىٰ بيان ما فيها من إيغال في الوثنية الصماء، غير أني أقول لعباد أم هاشم: أدركوا الدباغ فإنه نزع رئاسة الديوان من آلهتكم!!... برأ الله الرسول وأصحابه منكم.

(١) انظر ص (٧) من كتاب: الإبريز ج(٢) للدباغ تراه يحدثك عن نفسه بهذه الخصائص وفي صـ(٧٣) أيضًا من هذا الجزء أيضًا إذ يقول: (إني أرىٰ السموات السبع والأرضين السبع والعرش داخلة وسط ذاتي وكذا ما فوق العرشُ من السبعين حجابًا؛ وفي كل حجاب سبعون ألف ملك، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف ملك، وكل ذلك معمور بالملائكة. كل هذه المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلًا عن جوارحهم إلا بإذن رجل رَحِمَهُ اللَّهُ).

(٢) أما ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو بريء ممن يعبدونه، كافر بمن يؤلهونه كما كفر جده وأبوه وعيسىٰ من قبلهم بمن اتخذوهم آلهة من دون الله.

وليسأل هنا أحلاس الأصنام، وسدنة الطواغيت عن القطب، وحوله، وطوله، فسيسمع منهم أنه هو القطب في وقته، أو أنه رأىٰ القطب، وآكَلَه، وشارَبَه، ولقد كنت أول أمري مفتونًا بالقطب فسألت أحد النقباء في قريتي عن القطب، وهل رآه؟

فقص لي النقيب العظيم أنه رآه يلبس طرطورًا، وفي فمه زمارة، ويلبس «دلقًا».

فقلت: يا سلام!!... والآن عرفتك يا صاحب الطرطور!!.

من ذلك نفهم - مع اليقين - أن عوام الصوفية يضيفون إلىٰ القطب نفس الخصائص التي يضيفها إليه خواصهم، ويفهمون فيه تلك القدرة القهارة الجبارة مثل ما يفهم زعماؤهم، ودليلنا من الواقع المحس بالسمع والبصر، فلا يقولن لنا قائل بعد ذلك: إن هذا القطب الذي تكتب عنه، هو في فهم خواص الصوفية فحسب، أما العوام فهم برآء من هذا.

نعم، لا يقولن لنا مكابر ذلك، فقد أقمنا الحجة القطعية من البداهة والحس علىٰ أن العامي من الصوفية يفهم في القطب مثل ما يفهمه شيخه الأكبر، وكبريته الأحمر! لا فارق إلا في التعبير بالمصطلحات الصوفية عن ذلك التصور الذهني الباطل، فنفس الصورة المرتسمة في ذهن الصوفي العادي ومن لحقته عدوىٰ الوثنية من سواد العامة، هي نفس الصورة المرتسمة في ذهن الصوفي المطمطم، ولكن يختلفان في التعبير الفني عن تلك الصورة فقط...

القطب:

وما هو؟ نحب هنا أن نتكلم عن القطب في مفهومه المطلق، ثم نتكلم بعد عن قطب الغوث، وعن قطب الأقطاب.

يقول الصوفية تعريفًا للقطب: (هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه! وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة علىٰ الكون الأعلىٰ والأسفل، وهو علىٰ قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها)(١).

هذا هو نص ما يعرف به الصوفية قطبهم في مفهومه المطلق، ولكي نستوعب جميع ما يفهم فيه الصوفية من قوىٰ قادرة؛ ننقل أيضًا هذا التعريف:

(هو المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة، وهو مرآة الحق تعالىٰ، ومجلىٰ النعوت المقدسة، ومحل المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت، وعين الزمان، وصاحب علم سر القدر، وله علم دهر الدهور، ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء، لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون، لا تعتريه شبهة في دينه، ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه، كثير النكاح راغب فيه، محب للنساء، يوفي الطبيعة حقها، يضع الموازين، ويتصرف علىٰ المقدار المعين الموقت له؛ لا يحكم عليه وقت)(٢)، وإنه (لا يتمكن القطب أن يقوم في

---

(١) انظر مادة: «قطب» في كتاب التعريفات للجرجاني، فعنه نقلنا هذا التعريف.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي في الباب السبعين والمائتين.

القطابة إلا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾ ونحوهما، فإذا أوقفه الله تعالىٰ علىٰ حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلًا لها)(١)، فهو المهيمن علىٰ كل كائن، وبه يحيا كل موجود، وبما يشاء يسير ناموس الحياة، الكون العلوي بما فيه ومن فيه يستمد من القطب الحياة، والكون الأسفل بما احتواه يحيا لأن القطب بالحياة يمده، ويفيضها عليه، وهو الذي تنطبق عليه أسماء الإله كلها، لأنه متحقق بمعانيها، موجود فيه كل خصائصها، وهو الذي يعلم القدر وسره، ويطلع علىٰ محل كل غيب، وعلمه أبدي أزلي لا نهاية له، بيده الميزان الأعظم يزن به للخلائق أقدارهم وأعمارهم وأرزاقهم، وما من سر غيبي، أو غيب مستسر في خفايا القدر، أو الوجود بمعنييه إلا والقطب مطلع عليه، عليم بكل خفاياه»!!

هذا بعض شرح لما مضىٰ من تعريف الصوفية للقطب، وأعتقد أني فيما شرحت لك أيها القارئ الكريم لم أُحِطْ إلا ببعض ما يعنيه الصوفية، إن شرحي لك كسراج علىٰ طريق الليل المظلم، فاقرأ بنفسك هذه التعريفات التي قلناها لك بدقة وأمانة كما يشهد الله، ثم تفهم معانيها الظاهرة والخفية، إنك ستلمح، بل ستبصر جدًّا، أن قطب الصوفية هو الإله في جسد بشري، أو بمعنىٰ أدق، هو الإله في أحد تعيناته أو تنزلاته، فهل قال النصارىٰ في عيسىٰ واليهود في عزير جزءًا من ألف مما نسبه أولئك المناجيس إلىٰ قطبهم؟ ومع ذلك كله يوجد من يقول لي مشفقًا: حذار

---

(١) الفتوحات المكية في الباب الخامس والخمسين والمائتين، وانظر أيضًا في النصين كتاب اليواقيت والجواهر للهيكل الشيطاني الشعراني (جـ٢/ صـ٧٩).

يا بني من عدائك للصوفية، أولئك المتحققون بالحق - كما يدعون زورًا وبهتانًا -!!

أيها المشفقون علي! أشفقوا أنتم علىٰ أنفسكم من ظنكم هذا بالصوفية!! وإلا فبينوا لي معنىٰ ما يريد الصوفية بما نقلته عنهم؟ بل إني أنادي الصوفية بصوت مدو في كل بقعة من بقاع الأرض ابْتُلِيَتْ بشركهم وأرجاسهم: خبروني ماذا تكون الوثنية إذا لم تكن هذه العقيدة في دنسها وفجورها وجرءتها البالغة علىٰ الله، وهي عقيدة زعمائهم فيما يسمونه القطب.

* * *

القطب عند الصوفية (٢)[١]

ولكن هذا القطب يسمىٰ قطبًا بالنسبة إلىٰ ما في عالم الشهادة[٢] من المخلوقات، إذ يوجد قطب آخر يسمىٰ قطبًا بالنسبة إلىٰ جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة[٣]، وسيأتي ذكره بعد، فلنعد إلىٰ القطب الأول:

قلنا: إنه قطب بالنسبة إلىٰ المخلوقات في عالم الشهادة.

وعلىٰ هذا فهو قطب حسي حادث يستخلف بدلًا منه عند موته من أقرب الأبدال منه، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال، والأبدال هم أربعون رجلًا لكل منهم درجة مخصوصة: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات واحد منهم استبدل مكانه آخر، ومن هؤلاء الأبدال الأربعين يتعين ثلاثة أوتاد، ومن هؤلاء الأوتاد يختار القطب الحسي الحادث الذي تحدثنا عنه قبل،

---

(١) الهدي النبوي: (١٢/ ١٣٦٨هـ).

(٢) العالم عند الصوفية: هو كما عرفه الكمشخانلي في كتابه جامع الأصول: (هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سمي بالسوىٰ والغير... إلخ» يعني أن العالم هو ربهم حين تعين، تعالىٰ الله ربنا علوًّا كبيرًا؛ فللرب عندهم حالان: حال الإطلاق، وهو حين كان عماء أو في مرتبة الأحدية، والحال الثاني حال التعين وهو تجسده في صور المخلوقات.

(٣) عالم الشهادة أو عالم الخلق أو عالم الملك، فكلها بمعنىٰ واحد عندهم: هو عالم الأجسام والجسمانيات... وعالم الغيب، أو عالم الأمر، أو عالم الملكوت، فكلها بمعنىٰ واحد عند الصوفية: هو عالم الأرواح والروحانيات.

فكلما مات قطب تولىٰ مكانه واحد من الأوتاد ويختار واحد من الأبدال مكان الوتد الذي أصبح قطبًا(١) وهكذا...

وكأنَّ إلههم لا عمل له مطلقًا!!.

ويقول ابن الفارض(٢) في تائيته الكبرىٰ، متحدثًا عن أن القطب الأكبر أي قطب الأقطاب الذي ستتحدث عنه فيما بعد، مبينًا بعض خصائص قطب الأقطاب وبعض خصائص القطب فقط:

---

(١) انظر في هذا الموضوع شرح عبد الرازق القاشاني لتائية ابن الفارض الذي سماه: (كشف الوجوه الغر) وهو مطبوع علىٰ هامش شرح ديوان ابن الفارض للنابلسي والبوريني ط سنة ١٣١٠ هجرية صـ (١٠٣) الجزء الثاني، ويوجد خلاف يسير في عدد الأوتاد. فإن ابن عربي يجعلهم عبارة (عن أربعة رجال منازلهم علىٰ منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب، كل واحد منهم مقام تلك الجهة). وكذلك البدلاء فإنه يجعلهم سبعة. انظر رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي.

(٢) **ابن الفارض**: هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري الدار والمنشإ والوفاة، ولد سنة ٥٦٦هـ، وقيل: ٥٦٧هـ.

وابن الفارض من غلاة الصوفية، بل من ملحديهم القائلين بالحلول والاتحاد، توفي سنة ٦٣٣هـ. [لسان الميزان (٤/ ٣١٧)].

وعده شيخ الإسلام من رؤوس الاتحادية فقال:

«وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظمًا رائق اللفظ، فهم أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك» اهـ. [الفتاوىٰ (٤/ ٧٣-٧٤)].

وقد سماه **الشيخ عبد الرحمن الوكيل**: «سلطان الزنادقة» [مصرع التصوف صـ(٩٥)] (ض).

فبي دارت الأفلاك، فاعجب لقطبها الـ ـمحيط بها والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

يعني أن الجهات كلها مستوية بالنسبة إليه، فلا علو، ولا سفل، ولا يمين، ولا شمال، ولا شرق، ولا غرب، ولهذا تدور الأفلاك بوجوده، لأنه قطب الأقطاب بالنسبة إليها جميعًا، تدور عليه دوائرها، ويحيط بأقطارها جميعًا؛ أما القطب الحسي، فلا يحيط بما يدور عليه، بل هو نقطة محاطة مركوزة في وسطه، وهذا فرق ما بين القطب القديم وبين الحادث.

ثم يتحدث عن قطب الأقطاب الذي تعين في ابن الفارض، فيقول: إن قطب الأقطاب من خصائصه: أنه قديم لا يسبقه قطب، ولا يأتي بعده قطب، فهو أزلي أبدي، أما القطب الحسي: فهو يتعين من الأوتاد الثلاث الذين هم بعض الأبدال...

فبربك قل لي يا من تعبد الصوفية: أرأيت في أساطير الوثنية الرعناء أحمق من هذا؟

إن الصوفية كما قلت في مقال لي: يسوون بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب فالوجود هو الرب عندهم، وكان لهذا الوجود أولًا صفة الإطلاق، ثم شاء أن يتعين، فظهر في صورة الحقيقة المحمدية، أو صورة قطب الأقطاب بمعنىً آخر، ثم تكثرت هذه الحقيقة المحمدية، أو تجزأت، فظهرت في صور مختلفة، منها الأقطاب الحادثون، والأوتاد والأبدال، فكل واحد من هؤلاء جزء من الرب، أو هو الرب في أحد تعيناته، هذا هو نظام الوجود عند الصوفية، وهذا أساس سفههم وخبالهم، إنهم نبذوا العقل، وكتاب الله وسنة رسول الله، وأبوا تصديق الله فيما تكلم به عن نفسه، وأبوا تصديق الرسول فيما وصف به ربه، وصدقوا وثنية الفلسفة المارقة، وجعلوا من قضاياها هوية الحقيقة وإنِّيتها، فأخذوا منها التسوية

بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب.

ثم جانبوا بعد هذا الفلسفة أيضًا كما جانبوا الدين، وذهبوا يبنون نظامًا للوجود في غيبه وشهادته، وفي روحيته وماديته لا يقره عقل، ولا يجيزه دين من الأديان.

ولما رأوا أن العقل يخالفهم اخترعوا أسطورة «الذوق»(١) فقالوا:

إنما نستمد معارفنا من «الذوق» لا من العقل، والحقيقة في الصوفية لا تدرك بالعقل، وإنما «بالذوق» ولهذا تتعدد الحقائق بتعدد الأذواق، فلكل صوفي «ذوق» خاص يدرك به الحقيقة، ولهذا قد يكون الحق عند صوفي: باطلًا عند صوفي آخر، ولكنهم لا يصفونه بالباطل مطلقًا، وإنما هو حق أيضًا في ذاته، فالحقيقة لها صور مختلفة، ومظاهر متباينة، فهي تجمع عندهم بين النقيضين، وبين الضدين. فالحقيقة قديمة، وهي في ذات الوقت حادثة، والحقيقة رب، وهي بعينها عبد، والحقيقة حق، وهي بنفسها خلق، فتناقض المعارف الذوقية عند الصوفية جائز، بل هو ذاتي لهذه المعارف؛ لأن الحقيقة نفسها عندهم - وهي الرب - تجمع بين المتناقضات؛ ولهذا يقول ابن عربي:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا … وليس خلقًا بهذا الوجه فادكروا

---

(١) عرف الكمشخانلي في كتابه جامع الأصول الذوق بقوله: (هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنىٰ لبث من التجلي البرقي) فالمعرفة الذوقية لا تقوم عندهم علىٰ حس ولا تجربة ولا عقل، وإنما هي قائمة علىٰ بوارق شهود الرب عندهم!! وعرفه ابن عربي في رسالته: «اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية» بقوله: (الذوق أول مبادئ التجليات الإلهية).

جَمِّع وفَرِّق، فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر(١)

يعني أن الحقيقة الإلهية لها وجهان، فبوجه تسمىٰ حقًّا أي: إلهًا؛ وبوجه تسمىٰ خلقًا، وهي في ذاتها، في كثرتها ووحدتها، في تجمعها وتفرقها عين واحدة، فهي لهذا تجمع بين المتناقضات، ويقول:

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فأنت الضيق الواسع(٢)

ومعناه ظاهر، الوصف للإله بأنه ضيق واسع تلميح صريح إلىٰ أنه يجمع الضدين في نفس الوقت الواحد.

ويقول:

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عبد(٣)
وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب شهد

فهو يسوي هنا بين الرب وبين العبد؛ لأن الحقيقة الإلهية لها هذان الوصفان فهي تجمع دائمًا بين الأضداد والمتناقضات في ذاتها؛ والصوفية في هذا أشبه بالسوفسطائيين(٤) في ناحية المعرفة غير أن السوفسطائيين جعلوا الإحساس

---

(١) الفص الإدريسي من فصوص الحكم لابن عربي.

(٢) الفص الإسحاقي من فصوص الحكم.

(٣) الفص الإسماعيلي من فصوص الحكم.

(٤) السوفسطائيون: نسبة إلىٰ السوفسطائية، وهي مذهب فلسفي إغريقي قديم. والسوفسطائيون: هم قوم كانوا قبل الإسلام في القرن الخامس قبل الميلاد. =

الجزئي أساس المعرفة، أما الصوفية فهم اخترعوا أسطورة الذوق، هذا هو تحايل الصوفية للتخلص من أحكام العقل ممثلًا في اختراع كلمة «الذوق». أما تحايلهم للتخلص من الدين الحق، فيتمثل في اختراع أسطورة الظاهر والباطن، فالصوفية

=

قسمهم شيخ الإسلام إلىٰ أربعة أنواع:

الأول: السوفسطائية المتجاهلة اللاأدرية، الذين يقولون: لا نعلم هل الحقائق ثابتة أو منتفية، وهل يمكن العلم أو لا يمكن، فإن السفسطة أنواع أحدها قول هؤلاء.

الثاني: قول أهل التكذيب والجحود والنفي، الذين يجزمون بنفي الحقائق والعلم بها.

والثالث: الذين يجعلون الحقائق تتبع العقائد، فمن اعتقد ثبوت الشيء كان في حقه ثابتًا، ومن نفاه كان في حقه منتفيًا ولا يجعلون للحقائق أمرًا هي عليه في أنفسها.

الصنف الرابع: قول من يقول الحقائق موجودة لكن لا سبيل إلىٰ العلم بها، إما لكون العالم في السيلان فلا يمكن العلم بحقيقته، وإما لغير ذلك.

وهذه الأنواع الأربعة موجودة في هؤلاء الملاحدة، فمنهم الواقفة المتجاهلة: الذين يقولون: لا نثبت ولا ننفي، ومنهم المكذبة: الذين ينفون، ومنهم: من يجعل الحقائق تتبع العقائد كما يحكىٰ عن طائفة تصوب كل واحد من القائلين للأقوال المتناقضة، وكما يقوله من يقوله من أصحاب الوحدة كابن عربي، ونحوه بأن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها. انظر: الصفدية ص(١٧٠-١٧١).

وقال عنه - أيضًا - : (هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة؛ يعني: أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه... وأما كون آخره زندقة؛ فلأنه يرفع الأمر والنهي، والإيجاب والتحريم، والوعيد في هذه الأحكام، ويبقىٰ الإنسان إن شاء أن يوجب وإن شاء أن يحرم، وتستوي الاعتقادات والأفعال؛ وهذا كفر وزندقة).(الفتاوىٰ ١٩/ ١٤٤ - ١٤٥). (ض).

حين وجدوا أن خرافاتهم ينكرها الشرع، راحوا يقولون: إن للقرآن أو للشريعة ظاهرًا وباطنًا، أما الظاهر فهو لعلماء الرسوم، وأما الباطن فللصوفية. فقالوا بالشريعة وبالحقيقة، أما الشريعة فهي ما يؤخذ من ظاهر الكتاب والسنة. أما الحقيقة فهي ما يؤخذ من باطنهما مؤيدًا «بذوقهم». فحرفوا الكلم عن مواضعه، وتحايلوا علىٰ اللغة تحايلًا لئيمًا لا تقره مطلقًا أوضاع اللغة، فيقول ابن عربي في تفسير لفظ «المسجونين» من قوله تعالىٰ حاكيًا قول فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩] يفسرها بقوله: (لأجعلنك من المستورين لأن السين في المسجونين من أحرف الزوائد فإذا حذفت من سجن بقيت جن، ومعناها الوقاية والستر)..

هذا مَثَلٌ لتحريف الكلمات، فالصوفية في اختراعهم أسطورة الظاهر والباطن، وجدوا أن اللغة أيضًا لا تسعفهم فتحايلوا عليها مثل هذا التحايل فيا قوم:

هؤلاء فئة: جانبوا العقل، وجانبوا الدين، وجانبوا اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وفصلت أحكامه بها السنة المطهرة، فماذا تنتظرون منهم بعد هذا؟

العقل يحكم عليهم بالزيغ والباطل، والدين يحكم عليهم بالمروق والإلحاد، واللغة تسمهم بالتحريف اللئيم لأوضاعها.

أفتقولون بعد ذلك: إن الصوفية هم أرباب الحقيقة القدسية؟!! أفيقوا من سكرتكم، ثم انظروا هنالك في الأغوار السحيقة من الوثنية ترون مكانة الصوفية... [وأعتذر إلىٰ القراء الأفاضل من هذا الاستطراد وأعود إلىٰ صلب البحث لنتمه إن شاء الله].

قطب الغوث:

يسمىٰ القطب عند الصوفية بأنه الغوث «باعتبار التجاء الملهوف إليه» فلا فرق بين القطب في مفهومه المطلق، وبينه مقيدًا بالغوث إلا بالاعتبار. أعني لا يسمىٰ القطب غوثًا إلا حين يلتجئ الملهوف إليه مستغيثًا بحوله وطوله وقهره وجبروته، فيسمىٰ حينئذ غوثًا بهذا الاعتبار، وقد يسمىٰ قطب الوقت، وقطب الزمان، باعتبار وقته وزمانه.

قطب الأقطاب:

قلنا: إن القطب عند الصوفية. قطبان: أحدهما حسي، والآخر معنوي؛ أو بمعنىٰ آخر حادث وقديم، فالقطب الحسي أو الحادث هو ما تقدم ذكره، ونذكر به قراءنا الأفاضل: هو القطب الذي يخلفه قطب، وكلما مات اختير آخر من الأوتاد فهو قطب مسبوق بقطب، ويخلفه قطب، فقطبيته حادثة محدودة بوقت، وقد سبق أيضًا أن تحدثنا عن خصائصه الكبرىٰ، وأنه قطب بالنسبة إلىٰ ما في عالم الشهادة، أو بمعنىٰ أدق، بالنسبة إلىٰ إلههم المتعين في المخلوقات.

أما قطب الأقطاب فهو قطب معنوي قديم غير مسبوق بقطب، ولا يخلفه قطب آخر، فهو واحد منذ القدم، سرمدي القطبانية أبديها، وهو قطب بالنسبة إلىٰ ما في عالم الغيب والشهادة، فمن هو قطب الأقطاب أيها الصوفية بمعنىٰ أصرح؟ سنهتك القناع عن وجهه، ولكي نفعل ذلك يجب أن نتابع فصول الرواية الصوفية من أول فصل فيها..

الفصل الأول: هنالك كان شيء اسمه الوجود المطلق أو الإله المطلق، وكان في مرتبة اسمها العماء، نفسرها نحن بالمجهول المطلق، ثم شاء هذا الوجود المطلق

أن يرىٰ نفسه متعينًا في صورة ليرىٰ ذاته، فظهر ذلك الوجود المطلق، أو الإله المطلق في صورة الحقيقة المحمدية، فأصبح اسم الوجود المطلق أو الإله المطلق، الحقيقة المحمدية، وأصبحت ذات الحقيقة المحمدية هي ذات الإله المطلق بعد أن تعين في صورتها، وهذه الحقيقة المحمدية هي قطب الأقطاب. وبهذا يتم الفصل الثاني من الرواية الصوفية.

أما الفصل الثالث: فتعين الحقيقة في صور الموجودات المختلفة فحتىٰ الخنزير عند الصوفية تعينت فيه عندهم هذه الحقيقة، وحتىٰ الكافر الوثني تعينت فيه هذه الحقيقة.

ولذلك لما سئلوا: إذا كان كل شيء هو الله فكيف يعذب الله نفسه؟ أجابوا: لا عذاب؛ لأن العذاب من العذوبة لا من التعذيب!! والنتيجة الحتمية لهذا وحدة الأديان عند الصوفية سواء منها الوضعي الوثني أو الإلهي الحق... وسنتكلم بمشيئة الله بعد عن وحدة الأديان عند الصوفية والقائلين بها في مقال آخر، والرواية لم تتم فصولًا، ولا ندري متىٰ تتم؟!

والآن نذكر بعض تعاريف القطب المعنوي أو قطب الأقطاب عند الصوفية، يقول القاشاني(١): (هو قطب بالنسبة إلىٰ جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يستخلف بدلًا من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاك ما خلقت الكون، وتدور عليه دوائر الكون ويحيط

---

(١) هو جمال الدين عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، شارح «ديوان ابن الفارض»، و«فصوص الحكم». مات سنة (٧٣٠هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٣٥٠). (ض).

بأقطارها)(1).

معناه أن قطب الأقطاب قديم في ذاته، وهو يظهر في صور الأقطاب المحدثين المتعاقبين علىٰ مر الزمان، ويأخذ كل منهم صورة نبي، أو ولي ويتولىٰ كل منهم بأمر قطب الأقطاب المحافظة علىٰ العالم المشهود في وقته، ويستمد علمه وقدرته علىٰ التصرف من القطبية العظمىٰ التي هي باطن نبوة محمد... وإذا كان للقطب الحادث المحافظة علىٰ الكون والتصرف فيه، فما بالك بقطب الأقطاب؟!!

* * *

---

(1) صـ (١٠٣) من: «كتاب الوجوه الغر» ج (٢) المطبوع علىٰ هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ هجرية.

القطب عند الصوفية (٣)(١)

الفرق بين قطب الأقطاب، والقطب:

الأول قديم معنوي، والثاني حادث حسي... الأول تدور به الأفلاك التي يحيط بها، والثاني مركز نقطة وسط هذه الأفلاك، وتدور حولها الأفلاك.

ثم إن الثاني يستمد علمه وقدرته من قطب الأقطاب؛ هذه بعض الفوارق ولكن كلاهما له التصرف والقدرة و... و... كل ما قدمناه في تعريف القطب...

ولقد يزعم بعض الصوفية أنه هو بذاته قطب الأقطاب، فيتحدث عن نفسه بخصائص ذلك القطب كابن الفارض في الأبيات التي نقلناها عنه فارجع إليها، ومثل أبي السعود بن الشبلي(٢) وابن عربي(٣).

---

(١) (١/ ١٣٦٩) هـ.

(٢) هو دلف بن جحدر. وقيل: ابن جعفر الشبلي، نسبة إلىٰ قرية شبلية وراء سمرقند، كنيته أبو بكر.

كان حاجبًا للموفق ثم عُزل، فذهب إلىٰ الجنيد ورافقه وتصوف علىٰ يديه بعد أن تفقه علىٰ مذهب مالك، كان له شطحات وتجاوزات لا تكون قدوة، وسبب انحرافه المبالغة في المجاهدات كما يقول الذهبي.

وحقيقته أنه كان مع الحلاج علىٰ مذهب واحد، إلا أنه أخفىٰ والحلاج أظهر. توفي سنة (٣٣٤هـ). [انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٦٧)، وطبقات الأولياء صـ(٢٠٤)]. (ض).

(٣) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ولد بمرسية سنة (٥٦٠هـ)، ثم رحلت أسرته إلىٰ =

إذ يقول ابن عربي: (قال أبو السعود[1] لأصحابه المؤمنين: إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركناه تظرفًا هذا لسان إدلال، وأما نحن فما تركناه تظرفًا - وهو تركه إيثارًا - وإنما تركناه لكمال المعرفة)[2] وإذا سألت الصوفية قائلًا: أيجوز مثل هذا الكلام عن الله؟ قالوا: إنه يتحدث بلسان الجمع... يعنون أنه يتحدث وهو شاعر تمام الشعور بأنه الله. تعالىٰ الله علوًّا كبيرًا...

ويحكي الشعراني[3] في الطبقات ما يأتي: (كان سهل بن عبد الله

إشبيلية، وفيها أخذ عن ابن بشكوال، وأبي بكر محمد بن خلف الإشبيلي، وغيرهم من أقطاب التصوف، خرج بفكر الحلول والاتحاد، تنقل بين البلدان في الغرب والشرق حتىٰ استقر في دمشق، وفيها توفي سنة (٦٣٨هـ).

له تصانيف كثيرة أوصلها الزركلي إلىٰ أربعمائة كتاب ورسالة، أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وفي أكثر هذه التصانيف صرح بمذهب أهل وحدة الوجود. الأعلام (٧/ ١٧٠).

قال الإمام الذهبي عنه: «ومن أردإ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله... » اهـ. [سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)].

ولمزيد فائدة راجع كتاب «مصرع التصوف»، وكتاب «تحذير العباد من أهل العناد» بتحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (ض).

[1] هو أبو السعود بن أبي العشائر الباذيني. صوفي من أهل العراق، ذكر الشعراني من كراماته - خوارقه -!! الصيام في المهد، مات سنة (٦٤٤هـ). [الطبقات الكبرىٰ (٢/ ١٤٥)]. (ض).

[2] الفص اللوطي من فصوص الحكم لابن عربي

[3] الشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد الحنفي - نسبة إلىٰ محمد بن الحنفية - من غلاة الصوفية، ولد بمصر (٨٩٨هـ) ونشأ بساقية أبي شعرة من قرىٰ المنوفية، وإليها نسبته (الشعراني)؛

التستري[١] يقول: أعرف تلامذتي من يوم: ألست بربكم، وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل منذ ذلك اليوم أربي تلامذتي وهم في الأصلاب لم يحجبوا عني إلىٰ وقتي هذا..

وكان ابن عربي يقول: أشهدني الله تعالىٰ ما في العلىٰ وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفًا معجمًا حار فيه الجن والإنس ففهمته، وحركت ما سكن وسكنت ما حرك وأنا ابن أربع عشرة سنة)[٢].

والنص الأول من كتاب الطبقات يفيد أن التستري قطب الأقطاب؛ لأنه قديم منذ أخذ العهد، ولذلك كان يتولَّىٰ رعاية تلامذته وهم في أصلابهم... وهكذا كل واحد يزعم لنفسه أنه بلغ تلك المرتبة، ومن عجب أن يتوقح الشعراني في جرأته فيقول تعليقًا علىٰ مثل هذا الكلام حين يحكي عن الدسوقي[٣] قوله:

=

مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ)، له مؤلفات غالبها في التصوف كالطبقات الكبرىٰ، وواقع الأنوار في طبقات الأخيار، وغيرهما كثير. [انظر الأعلام (٤/ ١٨٠-١٨١)]. (ض).

[١] هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، من أئمة الصوفية ولد بتستر سنة (٢٠٠هـ)، لقي ذا النون المصري. له مصنفات، منها: «تفسير القرآن»، ورقائق المحبين ومواعظ العارفين، توفي بالبصرة سنة (٢٨٣هـ)، وله من العمر ٨٠ سنة. [انظر: سير الأعلام (١٣/ ٣٣٠)، الأعلام (٣/ ١٤٣] (ض).

[٢] الطبقات الكبرىٰ للشعراني (جـ١/ صـ١٥٨) ط شقرون عند كرامات الدسوقي.

[٣] هو إبراهيم ابن أبي المجد الدسوقي، صوفي كبير من أهل دسوق بمصر، تفقه علىٰ مذهب الشافعي ثم اقتفىٰ آثار القوم وكثر مريدوه الذين نقلوا عنه كلامًا كثيرًا علىٰ طريقة القوم، فيه =

(وقد كنت أنا وأولياء الله أشياخًا في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقني من نور الرسول والتفت إليَّ رسول الله. وقال: يا إبراهيم، سر إلىٰ مالك وقل له: يغلق النيران، وسر إلىٰ رضوان، وقل له: يفتح الجنان) يقول الشعراني تعليقًا علىٰ هذا ما يأتي: (وهذا الكلام من مقام الاستطالة، تعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بها ينطق، وقد سبقه إلىٰ نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني[1]، فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح)[2] الدسوقي شيخ في الأزل، الدسوقي خلق من نور الرسول، الدسوقي أغلق النار، الدسوقي يفتح الجنان، الدسوقي شاهد ربه في السماء... كل هذا عند الشعراني جائز لا يصح لنا مخالفته فيه إلا بنص صريح!!... أرأيت أيها القارئ الكريم تلك الاستطالة الوقحة علىٰ مقام الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ مقام كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ؟!...

النص الصريح يا شعراني خمس كلمات من القرآن الحكيم قول الله للرسول ﷺ - وشسع نعله بالدسوقي وأضرابه -: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، هذا خطاب الله تعالىٰ لسيد الخلق، وخاتم رسله، ولمن قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ولمن وصفه بأنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]، أفيقول

الكثير لا معنىٰ له. ولد سنة (٦٣٣هـ) وتوفي (٦٧٦هـ). انظر الأعلام (١/ ٥٩). (ض).

[1] هو محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله الكيلاني أو الجيلاني، صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية، ولد بكيلان وقيل: جيلان سنة (٤٧٠هـ)، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه، توفي سنة (٥٦١هـ)، له مصنفات منها: «الفتح الرباني والفيض الرحماني»، و«الغنية لطالبي طريق الحق» وغيرهما. [انظر: «طبقات الأولياء» صـ(٢٤٦)]. (ض).

[2] الطبقات للشعراني (جـ١/ صـ ١٥١) ط شقرون.

لنا قائل بعد ذلك: حذار من مهاجمة الأقطاب، حذار من كرامات الشعراني!!... حذار أنتم أيها القائلون لنا ذلك!!

فإن الشعراني وأضرابه يضعون أقدامكم علىٰ شفا الهاوية السحيقة الأغوار من سقر!.

فالشعراني بلغت به الجرأة أن يقول: لا تجوز مخالفة هذا ولم يرفض حتىٰ القول: بأنها شطحات!!... أقول ذلك لكي يعلم ضحايا الصوفية أنها ليست شطحات، وإنما هي وثنيات يصرح بها القوم، وهم في أقوىٰ دوافع الشعور بها يقولون، وهذا هو الشعراني لا ينكرها ولا يردها، بل يدعونا إلىٰ التصديق بها، يدعونا إلىٰ الإيمان بأن الدسوقي وغيره بلغوا مرتبة القطبانية الكبرىٰ، فهم يتصرفون في الكون وأقداره وأقضيته بما يشاءون... فويل الصوفية من الشعراني!!

الإنسان الكامل:

وبعض الصوفية كابن عربي والجيلي(١) يريدان بالقطب الإنسان الكامل... فالقطب بمعنىٰ الإنسان الكامل عند هذين الصوفيين اسم عام يطلق علىٰ كل إنسان متحقق بالكمال، إلا أن الجيلي أطلق لفظ القطب فلم يقيده بقطب الأقطاب أو غيره، بل جعله شاملًا للحقيقة المحمدية، ولكل إنسان كامل حادث، لأن الإنسان الحادث ما هو إلا الحقيقة المحمدية، أو الإله المطلق متعينًا في صورة

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري صوفي كبير مقدس فكره وأراؤه عند الصوفية، مات سنة (٨٣٢هـ) له تصانيف أشهرها: «الإنسان الكامل». [انظر: «معجم المؤلفين» (١/ ١٥٥)]. (ض).

إنسان حادث، ولهذا يقول: (الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلىٰ آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلىٰ أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمىٰ به باعتبار لباس، ولا يسمىٰ به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرىٰ أسام، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به في صورة الجبرتي... قال الشبلي لتلميذه: أشهد أني رسول الله. فقال: أشهد أنك رسول الله)(١) إلخ ما خرف به.

فالإنسان الكامل هو قطب الأقطاب، ولا يوجد إذن عند الجيلي قطب، وقطب أقطاب، بل كل إنسان كامل تعينت فيه الحقيقة المحمدية فهو قطب أقطاب، وقوله تنوع في ملابس يفيد أن قطب الأقطاب يظهر في صور مختلفة، ولكنه واحد في حقيقته متغير في ملابسه، وقوله: ويظهر في كنائس. يعني: أن قطب الأقطاب قد يظهر في صورة نصراني، أو يهودي، وهذا إشارة منه إلىٰ أسطورة «وحدة الأديان» عند الصوفية سواء منها الوضعي الوثني، أو الإلهي الحق.

من هو ذلك الإنسان الكامل، أو من هو قطب الأقطاب مرة أخرىٰ أيها الصوفية؟! إنه الإله.

واسمعوا لزعيمكم الجيلي يقول: (والله هو الولي يعني الإنسان الكامل الذي

---

(١) صـ (٥٠) من كتاب: الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي من الباب الموفي للستين جـ(٢) طـ سنة ١٢٩٣ هـ.

قال فيه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(١) يريد أن يقول: إن الله هو الولي فهو إذن يظهر بيننا في صورة الأولياء - تعالىٰ الله، وسبحان الله، وتقدست ذاته العظيمة - فالأولياء بهذا يكونون آلهة، أو هم الإله الواحد عند الصوفية.

ونسائل الجيلي وعباده: إذا كان الله - جل الله عما يصفه به الملحدون - هو أولياؤكم وعندكم في كل عصر أولياء كثيرون، فأي ولي هو الله؟؟

تعاليت يا رب سبحانك عما يقول الوثنيون. أإلهكم يظهر في صورة ولي واحد منهم؟

إن كان كذلك فقد خالفتم أنفسكم، لأنكم تقولون: إن كل ولي هو إلهكم، وإن كان يظهر في صورتهم جميعًا في وقت واحد. فقد جعلتم إلهكم أبعاضًا متباينة، ففي هذا ذراع إلهكم، وفي الآخر رجله، وفي الثالث شاربه، وفي الرابع ضرسه، وفي الخامس عضو آخر، وفي السادس غيره...!! وهكذا أيها الوثنيون!!.

ويقول الكمشخانلي ما يأتي: (عين الله وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرىٰ)(٢).

أعتقد أنه لا يوجد هنا رمز أو غيره كما يهرف الجهلاء من أدعياء العلم الأزهري، إذ يقولون عن كل ما لا يفقهونه من أساطير الصوفية؛ أو يفقهونه ويكابرون. يقولون: هذا رمز...

---

(١) صـ (٢٢) من كتاب الإنسان الكامل للجيلي ج (١) طـ ١٢٩٣هـ.

(٢) صـ (١١١) من كتاب: جامع الأصول لأحمد ضياء الدين الكمشخانلي طـ ١٣٢٨هـ.

فأي رمز أيها المتحجرون، أيها الناعقون بالوثنية الصماء!!.

أي رمز في قول الجيلي، وقول الكمشخانلي؟ والقول بّين جلي صريح.

أيها الباحثون عن الحق، ويأيها العلماء الصادقون، ليس كفر الصوفية في توسلهم بأوليائهم إلا قشرة من الشرك الأكبر الذي يطوون عليه نفوسهم، إنهم لا يتوسلون إليهم باعتبارهم أولياء، ولكن باعتبار أن كل ولي هو الله، كما ترون في تصريحاتهم. فالتوسل مسبب عن شيء وقر في نفوس هؤلاء الوثنيين من الصوفية شرحه الجيلي، وهتك عنه القناع، وبينه الكمشخانلي، ومزق الستر عنه هو:

(أن عين الله هو الإنسان الكامل).

ولقد قال لي أخ ذات مرة: ألا فلنهدم القبور.

قلت: أتهدم القبور التي علىٰ الأرض، أم القبور التي في قلوب الصوفية وكتبهم؟!!

وإنا فيما نكشف به عن دخائل الصوفية إنما نريد تطهير عقائد أولئك البسطاء المخدوعين من عباد الصوفية، نهتك القناع عما خفي وراء هذه الوجوه، من حقيقة الخنزير، ومعنىٰ الرجس، وطاغوت الوثنية، حتىٰ لا يبقىٰ لهم عذر، وحتىٰ نضيء لهم الطريق، فيبصرون أية هاوية سحيقة يسوقهم زعماؤهم إليها؛ هذه غاية، وغاية أخرىٰ أن يعلم آلهة الصوفية أن وثنيتهم لم تعد خافية علىٰ أحد، وأن مجوسيتهم في رجسها ودنسها أصبح يكشف عنها الكثيرون، ومنهم صاحب هذا المقال، فلعلنا بهذا نقطع عليهم الطريق. اللهم اجعلنا من قطاع الطريق علىٰ الصوفية.

وما البهائية التي يعيب عليها الصوفية إلا صورة مصغرة من الصوفية. فالبهائية تزعم أن الله ظهر في صورة البهاء، وهل يقول الصوفية غير هذا؟!. بل إن الصوفية شر من البهائية، فالبهائية حصرت الإله في شخص البهاء، أما الصوفية

فتقول بظهوره في صورة كل ولي.

ومن العجب الذي لا ينتهي أثره أن يكون في لائحة مشيخة الطرق الصوفية هذه المادة: (الباب الخامس في أمور عمومية.

المادة الثانية: يبعد عن الطرق الصوفية: أولًا: كل من اتصف بعقائد مخالفة للشرع الإسلامي كالقول بالحلول والاتحاد...)

يا عجبًا يا قوم! هل ابن عربي لم يقل بذلك؟ هل ابن الفارض لم يقل بذلك؟ هل الشعراني لم يقل بالمعصية والكفر في كتابه، بل مالي أذهب بعيدًا، هل مجموع الأوراد لم يقل بأكثر من ذلك، أليس في دلائل الخيرات - علىٰ قداستها عندكم - ما يخالف الشرع الإسلامي؟!

وقد كشفنا القناع عن بعض ما فيها في المقالات التي نشرناها بالهدي النبوي الغراء في أول أبحاثنا تحت عنوان: «طواغيت» ولعل الله يوفقنا من فضله فنطبعها.

إن دعواكم في هذا كدعوىٰ ابن الفارض في تائيته بعد قوله بالاتحاد والوحدة وأنه الذات الإلهية: (أنزه عن دعوىٰ الحلول عقيدتي) ما ذلك إلا قناع تتسترون به كلما هتك عنكم الستر، أروني وردًا أو حزبًا من أحزابكم ليس فيه ما يخالف الشرع الإسلامي، فتحديد ورد خاص لوقت خاص تعبدًا فيه مخالفة للشرع الإسلامي.

هأنذا أناديكم وأتحداكم في أورادكم الحاضرة، وأحزابكم التي ترتلونها الآن.

فهيا إذا شئتم نضالًا فكريًّا، وحجاجًا عقليًّا..

إنا أيها الصوفية سنظل - بعون الله وقوته ومشيئته - نضرب بمعاول الحق طواغيتكم القبورية، والكتبية، والعقيدية التي تسكن إليها نفوسكم حتىٰ يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وأقول للشاتمين بلا حجة، الثائرين عليّ للثورة لا للحق: تعالوا، تعالوا، أرسلوا بردودكم، أرسلوا بحججكم، وسأنشرها لكم بعد إذن أصحاب هذه المجلة المؤمنين.

أما أن تقولوا عني: أنت ضال مضل، ملحد زنديق. فذلك دليل العجز والكربة المكروبة التي حاقت بكم.

اثبتوا بالحجة وبالبرهان من القرآن والسنة ضلالي فيما أقول، وزندقتي فيما أكشف به عن وثنيتكم.

أما أنا فأقول عنكم ما أقول مستمدًا حجتي من كتاب الله وسنة رسوله، مؤيدًا ما أقول بكتبكم وأورادكم وأحزابكم، فهيا أيها الأقطاب والأوتاد والنجباء والنقباء والخلفاء(١)، وتالله لن ترهبنا قوتكم، ولا طواغيتكم، أما المشفقون علي، فأقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ اللهم نصرك واللهم عونك، واللهم إنك أنت العلي الكبير، فاهدنا إلىٰ ما تحبه وترضاه.

* * *

---

(١) يلاحظ قراؤنا الأفاضل أني عنيت عناية تامة بتفصيل مذهب الصوفية في القطب، حتىٰ كأنه بحث خالص للبحث فحسب، وذلك لكي لا ندع لهم حجة يحتجون بها، ولكي نستطيع رمي طاغوتهم في الصميم، وباطلهم في هذا أوضح من باطل الشرك.